OPEN ACCESS
MA'ARIF-E-ISLAMI (AIOU)
ISSN (Print): 1992-8556
ISSN (Online): 2664-0171
https://mei.aiou.edu.pk

ظاهرة السلم في السيرة النبوية

Peace Phenomenon in Prophetic Seerah

الدكتور عبد الوهاب جان الأزهري
الأستاذ المساعد بكلية أصول الدين –الجامعة الإسلامية العالمية – إسلام آباد باكستان

Abstract

The Holy Prophet Muhammad (PBUH) came to the world as a universal and eternal prophet with a status of "Mercy for the worlds". It was an essential requirement of this status of universal mercy for the world to make this world the cradle of peace and security. For this, where the spirit of peace and security was instilled in him, the message that he conveyed to the people of Allah Almighty was also a message of complete peace and security in terms of its meaning and teachings. Since Prophet Muhammad (Peace and blessings be upon him) came as a mercy to the whole world without any distinction of profession, ideology, race or region, He promoted peace and security in the society together with protection of life, property and honor of every human being by taking such numerous far-reaching security measures that have at least made the Arabian Peninsula at that time a heaven of peace. His attitude towards the polytheists of Makkah and the people of the Book (*Ahl al Kitab*) was also exemplary. At the time of the Prophet's revelation, the world was a hotbed of strife and disorder as no one's life was safe, neither wealth, nor honor of any one was safe and even no way was safe but the world welcomed a great revolution after following the prophetic teachings. The present time is also facing a very multifaceted difficult situation and if the teachings and instructions of the Holy Prophet Muhammad (PBUH) regarding peace and security are followed, the global village can become the cradle of peace and security. A descriptive research method has been adopted in this article.

Key words: Peace, Phenomenon, Prophet (P.B.U.H),Seerah

فاتحة البحث

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام علي أشرف المرسلين محمد وآله وأصحابه أجمعين، وبعد!

التعريف بالموضوع

ورقة هذا البحث تتكلم في معني السلم و السلام كظاهرة مطردة و صبغة عامة لنبي الإسلام والسلام صلي الله عليه وسلم في شخصه وتعامله و تشريعاته ، لتدفع غائلة كل متجن وتبطل دخيلة كل مغرض ويزداد

الذين آمنوا إيمانا؛ صحيح أنه صلي الله عليه وسلم عاش الحرب ومارسه ، لكنه كان خياراً متأخراً ومع فئات أقبل عليهم بصفحته البيضاء ووجهه المشرف فأرادوا أن يفتنوه عن بعض ما أنزل إليه ويستفزوه من الأرض ليخرجوه منها فقطّع منهم الوتين حفاظا علي السلم العام للأديان والأفراد والجماعات.

لقد كان القمر يضئ في الفلاة ظلمة الليل في سكون تام ورحمة عامة " ﴿وما أرسلنك إلا رحمة للعالمين﴾ " فإذا ما أراد شخص أن يحول بين الأرض و بين نوره بالخسف فليس له إلا السيف حتي يكشف الله ما بهم و يسود السلم الظاهرة ويعم النور الهادي المبين.

ولقد رغبت في المشاركة بهذا البحث المتواضع في العدد الخاص "للسيرة النبوية" الذي تصدره "مجلة معارف إسلامي بجامعة الإقبال المفتوحة بإسلام آباد" وهدفه النبيل الذي ينشده العدد مما تمس الحاجة إليه ، مشكورة مأجورة يشرفني أن أصوب الأعين قَبِل هذا الضوء من خلال ثلاثة محاور متعلقة بالنبي صلي الله عليه وسلم مع ذكر أمثلة ونصوص يتضح بها صدق هذه الظاهرة السلم في شخصية النبي صلي الله عليه وسلم.

خطة البحث

البحث مكون من ثلاثة محاور و خاتمة:

المحور الأول : شخص الرسول بين خيارى السلم والحرب

المحور الثاني : ظاهرة السلم في تعامله مع المشركين

المحور الثالث : ظاهرة السلم في تعامله مع أهل الكتاب

الخاتمة: وفيها ذكرت أهم النتائج و التوصيات

التمهيد

كما هو معلوم لدي الجميع بأن رسول الله هو نبي الإسلام و السلام ، ومن أول يوم سعي إلي تأليف القلوب و تكوين المجتمع المثالي الذي مدحه سبحانه وتعالي " وألف بين قلوبهم "[١]. لقد سبق الإسلام المدينة المعاصرة إلي سنِّ القوانين ، ووضع الضوابط التي تمنع الحروب و الإقتتال ما أمكن، ومتي وقعت و اضطر المسلمون لخوض غمارها عُني بكل ما من شأنه أن يُلطّف من آثارها ، ويحقق ثمارها الداعمة للسلام المستقبلي[٢].

والسلام علم للإسلام كما قال تعالي " أدخلوا في السلم كافة "[٣] ، والسلام فاتحة اللقاء في الدنيا و الآخرة " تحيتهم يوم يلقونه سلام "[٤] وهي من أسماء ربنا تعالي : " هو الله .. "[٥] ، والسلام شأن عباد الله الطيبين الذين " ﴿واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما﴾"[٦] و حين جُوبه الخليل ابراهيم عليه السلام بالتهديد من أبيه " ﴿قال سلام عليك﴾ "[٧] وحفيده محمد صلي الله عليه وسلم يؤمر بالتعامل السلمي مع الكافرين

" ﴿فاصفح عنهم و قل سلام﴾[۸] ، وهي غير منسوخة علي الصحيح ،أي سلمتم منا لا نسافهكم ، ولا نعاملمن بمثل ما تعاملوننا.[۹]

إن الإسلام لا يتشوف إلي القتل و القتال ، ولا يتطلع إلي سفك الدماء، وإنما شرع القتال لتحقيق السلم والسلام، فإذا تحققت تلك الغاية فلا وجه لطلب القتال، كما قال تعالي : فإن اعتزلوكم ..."[۱۰] ، فلا يحل حينئذ قتلهم ، ولا أسرهم ، ولا نهب أموالهم ، فإن الإستسلام يمنع من ذلك ويحرمه.بل إن الله تعالي أمتن علي رسوله والمؤمنين بالسلم يوم الأحزاب يوم أن سلّط الله علي المتحزبين الريح و الملائكة وردهم بغيظهم لم ينالوا خيراً" ﴿و كفي الله المؤمنين القتال﴾"[۱۱] ، وكذا أمتن الله عليهم بالفتح المبين في يوم الحديبية حين كف أيديهم عن قتل الكافرين فقال : وهو الذي كف أيديهم عنكم و أيديكم عنهم "[۱۲].

وقال تعالي آمرا بنبيه صلي الله عليه وسلم ﴿وإن جنحوا للسلم فاجنح لها﴾ "[۱۳] أي مِل للمسالمة و المهادنة و أقبل منهم ذلك ،و الآية محكمة غير منسوخة علي الصحيح [۱۴]. قال ابن كثير:" ولهذا لما طالب المشركون عام الحديبية الصلح ووضع الحرب بينهم و بين رسول الله صلي الله عليه وسلم تسع سنين أجابهم إلي ذلك مع ما اشترطوا من الشروط الأخر.

فإن كان للمسلمين مصلحة في الصلح لنفع يجتلبونه ، أو ضرر يدفعونه فلا بأس أن يبتدئ المسلمون به اذا احتاجوا إليه ، وقد صالح رسول الله صلي الله عليه وسلم أهل خيبر علي شروط نقضوها فنقض صلحهم ، و قد صالح الضمري [۱۵] و أكيدر دومة[۱۶] و أهل نجران ، وقد هادن قريشاً لعشرة أعوام حتي نقضوا عهده، وما زالت الخلفاء والصحابة علي هذه السبيل التي شرعناها سالكة، وبالوجوه التي شرحناها عاملة.قاله القرطبي[۱۷].

وفي المسند عن علي ابن ابي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم : إنه سيكون اختلاف ، أو أمر ، فإن استطعت أن يكون السلم فافعل."[۱۸] وهذا رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول :" يا أيها الناس لاتتمنوا لقاء العدو وأسألو الله العافية فإذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف ..."[۱۹]

بل إن مجرد اسم الحرب و لفظته كان صلي الله عليه وسلم يكرهها ، فعن أبي وهب الجشمي قال : قال رسول الله صلي الله عليه وسلم : تسموا بأسماء الأنبياء ، وأحب الأسماء إلي الله عبد الله و عبد الرحمن ،وأصدقها حارث وهمام ، وأقبحها حرب و مرة."[۲۰]

ولكأنك تري أسارير وجه الرسول الكريم صلي الله عليه وسلم تبرق كما كانت سجيته و هو يوحي الدعاة :" بشروا ولا تنفروا ، ويسروا ولا تعسروا ."[۲۱] ولقد كانت للنبي صلي الله عليه وسلم مواقفه الطيبة في هذا الجانب ، مما يعتبر قدوة للمسلمين و سنة متبعة ينبغي عليهم أن يقتفوا فيها أثر النبي صلي الله عليه وسلم ، وهي مواقف تضع أسس و دعائم قوية لمبدأ السلام الإنساني.

المحور الأول :ظاهرة السلم في شخصية النبي صلي الله عليه وسلم في تعامله مع المشركين

وقد بعث الله نبيه رحمة للعالمين ، وهو مثال للرحمة سواء مع المسلمين أو مع غيرهم ، قال جابر بن عبد الله رضي الله عنه :"كان رسول الله صلي الله عليه وسلم رجلا سهلا"[٢٢] ، قال النووي : " أي سهل الخلق كريم الشمائل لطيفاً ميسراً في الخلق ."[٢٣] وتشمل رحمته صلي الله عليه وسلم مع غير المسلمين وبالأخص مع المشركين علي صور متعددة ، أذكر منها بعضها:

١- النبي صلي الله عليه وسلم قال في أساري بدر:" لو كان المطعم بن عديّ حياً ثم كلمني في هؤلاء النتني لتركتهم له"[٢٤].

قال الإمام الصنعاني : أي لو طلب {المطعم بن عدي } تركهم و اطلاقهم من الأسر بغير فداء لفعلت ذلك ، مكافأة له علي يد كانت له عند رسول الله صلي الله عليه وسلم ، وذلك أنه صلي الله عليه وسلم لما رجع من الطائف دخل في جوار المطعم بن عدي إلي مكة ...وقيل أن اليد التي كانت له أنه أعظم من سعي في نقض الصحيفة التي كانت كتبتها قريش في قطعية بني هاشم ومن معهم من المسلمين حين حصروهم في الشعب (بن أبي طالب) ، وكان المطعم قد مات قبل موقعة بدر كما رواه الطبراني ، وفيه دليل علي أنه يجوز ترك أخذ الفداء من الأسير و السماحة به لشفاعة رجل عظيم، و أنه يكافأ المحسن وإن كان كافراً[٢٥].

٢- دعاؤه لمخالفيه من المشركين ، فقد قدم الطفيل بن عمرو الدوسي و أصحابه ، فقالوا : يا رسول الله إن دوساً قد كفرت و أبت فادع الله عليها، فقيل : هلكت دوس – ظناً بأن النبي صلي الله عليه وسلم إنما رفع يديه للدعاء عليها – فقال صلي الله عليه وسلم : اللهم اهد دوساً وائت بهم."[٢٦]

٣- وكان يأمر بصلة القريب و إن كان مشركاً ن فقال لأسماء بنت إبي بكر رضي الله عنها " صلي أمك ".[٢٧]

٤- موقف النبي صلي الله عليه وسلم من أسري غزوة بدر حين فرقهم بين أصحابه و قال : " استوصوا بالأساري خيراً."[٢٨] فكان الصحابة يفضلونهم علي أنفسهم في طعامهم وشرابهم [٢٩].

٥- عن حذيفة بن اليمان قال : ما منعني أن أشهد بدراً إلا أني خرجت أنا و أبي الحسيل ، قال : فأخذنا كفار قريش فقالوا : إنكم تريدون محمدا (صلي الله عليه وسلم) فقلنا : ما نريده وما نريد إلا المدين، قال : فأخذوا منا عهد الله و ميثاقه لنصرفن إلي المدينة ولا نقاتل معه، فأتينا رسول الله صلي الله عليه وسلم فأخبرناه الخبر ، فقال :انصرفا نفي لهم بعهدهم و نستعين الله عليهم"[٣٠].

المسلمون في بدر ثلث عدوهم ، وحاجتهم إلي كل رجل منهم ظاهرة، ومع ذلك لا يأمرهم النبي بالإشتراك في المعركة إلي جانب دينهم و إخوانهم {أي يأمر حذيفة و أبيه }، بل يقول لهما: " انصرفا".

۶- فإن ثقيفاً كانت من أشد القبائل عداء للرسول صلي الله عليه وسلم ، ومع ذلك فقد فقد دعا لهم بالهداية ، فقال : اللهم اهد ثقيفاً وائت بهم مسلمين ، ولما أسلموا فرح رسول الله صلي الله عليه وسلم بإسلامهم ، فخرج يستقبلهم في بشر و إكرام ، وراح يحبس عليهم وقته كله يعلمهم و يرشدهم و ينصح لهم ، إنه الإسلام الذي لا يعرف حقداً ، ولا ضغينة ،ولا يريد شراً بإنسان.[۳۱]

۷- وفد كندة قدموا علي رسول الله صلي الله عليه وسلم و قالوا أخبرنا عما خبأناه لك؟ فقال سبحان الله انما يفعل ذلك بالكاهن ، وإن الكاهن والمتكهن في النار ، ثم قال: إن الله بعثني بالحق وأنزل علي كتاباً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، فقالوا أسمعنا : فتلا عليهم من سورة الصافات[۳۲].

فأنت تري واضحاً جلياً أنه لم يغضب – عليه السلام –منهم حين بدأ من سؤالهم اعتقادهم بأنه كاهن، بل صبر علي إساءتهم و تقبلهم لجهلهم، ولا ريب فإنه لا يغضب لنفسه أبداً.

۸- لما وصلت لقريش بيعة الرضوان ، خافت قريش خوفاً شديداً وقالوا: نريد الصلح ، و أرسلوا سهيل بن عمرو ، فتقدم إلي النبي صلي الله عليه وسلم وبدأ الحوار، و تم الإتفاق بين سهيل بن عمرو و النبي – صلي الله عليه وسلم – ونادي النبي – صلي الله عليه وسلم – على بن ابي طالب رضي الله عنه لكتابة الصلح ،فقال له النبي – صلي الله عليه وسلم – اكتب يا على: بسم الله الرحمن الرحيم ، فقال سهيل : ما ندري ما الرحمن ؟ اكتب ما تكتبه من قبل، اكتب باسمك اللهم ،فقال النبي – صلي الله عليه وسلم – لعلي : امحها يا علي ، فرفض أن يمحها، فمحاها النبي – صلي الله عليه وسلم – قال : ثم أكمل قائلاً:هذا ما صالح عليه محمد الرسول الله – صلي الله عليه وسلم –، فقال سهيل : لو علمنا أنك رسول الله ما قاتلناك ، فمحاها رسول الله ، فغضب الصحابة غضباً شديداً.[۳۳]

ولكن النبي – صلي الله عليه وسلم – كان يريد الصلح لأنه كان يعلم أن الإسلام اذا انتشر في هدوء وسلام بين القبائل فإنه يدخل الكثير منها في الإسلام.

۹- وفي يوم فتح مكة، فهاهي جحافل جيشه – صلي الله عليه وسلم – تسيل عبر أودية مكة لا تلوي علي شئ ، في مسيرة نصر أخّاذة لها طعم آخر ، وذلك أن كثيراً من

المشاركين فيها سيموا قبل سنوات قليلة سوء العذاب و التضيق في تلك البطاح علي أيدي المشركين ، وخرجوا منها علي خوف يترقبون ، وهاهم اليوم يظفرون برقاب الصناديد راغمة أنوفهم ، فيا تري كيف كان السلوك النبوي حال نشوة النصر هذه؟ هل أمر بتصفيتهم جسدياً؟ هل علق شخوصهم علي أعواد المشانق عبرة للمعتبرين؟ أم هل غلّقت عليهم الزنازين و فتحت لهم ملفات التهم والمقاضاة؟ كلا لم يكن شئ من ذلك , وإنما كان قوله قول يوسف _ عليه السلام – لإخوته: " لا تثريب عليكم اليوم ، يغفر الله لكم..."[٣٤] ، اذهبوا فأنتم الطلقاء.

انها كلمة سجلها التاريخ ، ولا زالت أصداؤها في قلوب الأجيال عند المقام، بل لقد حرص – صلي الله عليه وسلم – يومها علي حفظ الدماء ، وكره إراقتها ، حتي أنه خلع سعد ابن عبادة رضي الله عنه من قيادة إحدي الفرق ، لأنه توعّد قريشاً ، فطمأنهم رسول الله – صلي الله عليه وسلم – ، ونشر عليهم الأمان ، وقال : ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، ومن غلق بابه فهو آمن [٣٥].

اذن، فالسلام المتبادل هو الأصل في المعاملة مع غير المسلمين و هذا ما جسده النبي – صلي الله عليه وسلم – في معاهداته و مصالحاته مع المشركين و غيرهم من الفئات الغير المسلمة.

المحور الثاني: ظاهرة السلم في شخصية الرسول– صلي الله عليه وسلم–في تعامله مع أهل الكتاب

١- لم تكن مسالمته صلي الله عليه وسلم ضعفاً في شخصيته ولا وهنا في قلبه ، بل قوة في عزيمته و عزيمة في إرادته، عائشة رضي الله عنها ، زوج النبي صلي الله عليه وسلم تنقل لنا هذه الصورة التي تبيّن الحال المثالية في تعامله صلي الله عليه وسلم مع غير المسلمين بل مع أهل الجفاء منهم ، فتقول : دخل رهط من اليهود علي رسول صلي الله عليه وسلم فقالوا:السام عليكم ، قالت عائشة ففهمتها فقلت وعليكم السام و اللعنة ، قالت ، فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم مهلاً يا عائشة إن الله تعالي يحب الرفق في الأمر كله. وفي رواية : مهلاً عائشة عليك بالرفق و إياك والعنف والفحشز. فقلت يا رسول الله ولم تسمع ما قالوا، قد قلت وعليكم.[٣٦]

٢- وها هو حبه أسامة بن زيد ينقل لنا صورة حري غاية في الروعة والمسالمة و حسن الخلق مع غير المسلمين : ركب صلي الله عليه وسلم حماراً وأردفه وراءه وذهب لعيادة سعد بن عبادة ، فمرّ في مجلس فيه إخلاط من المسلمين و المشركين واليهود ، وفيهم أبي ابن أبي سلول ، فلما غشيت المجلس بمجاجة الدابة خمّر عبد الله بن ابي وجهه بردائه ثم قال : لا تغبروا علينا ، فسلم رسول الله صلي الله عليه وسلم عليهم ، ثم وقف فنزل فدعاهم

إلي الله ، وقرأ عليهم القرآن ، فقال عبد الله بن أبي: ايها المرء لا أحسن من هذا ، إن كان ما تقول حقاً فلا تؤذنا في مجالسنا فإنا نحب ذلك ، فاستب المسلمون والمشركون واليهود ، حتي هموا أن يتواثبوا ، فلم يزل النبي صلي الله عليه وسلم يخفضهم ، ثم ركب دابته حتي دخل علي سعد بن عبادة ، فقال ، أي سعد ألم تسمع ما قال أبو حباب ؟ (يريد عبد الله بن ابي) قال : كذا وكذا ، قال : اعف عنه يا رسول الله و اصفح ، فوالله لقد أعطاك الله الذي أعطاك ولقد اصطلح أهل هذه الهجرة علي أن يتوجوه فيعصبوه بالعصابة ، فلما ردّ الله ذلك بالحق الذي أعطاك شرق بذلك فذلك فعل به ما رأيت ، فعفا عنه النبي صلي الله عليه وسلم.[۳۷]

لم أعجب من عفو رسول الله صلي الله عليه وسلم عن هذه الإساءة و هذا المسئ الذي جاء قال له في موقف مشابه : لقد آذاني نتن حمارك، وأنما العجب من قوله صلي الله عليه وسلم لسعد : " أسمعت ما قال أبو حباب ؟،لم يقل : أسمعت ما قال ذلك المنافق ، بل لم يقل : أسمعت ما قال عبد الله ابن ابي ! و إمنا يكنيه و يعظه ثم يعفو عنه.

۳- الكفار علي اختلاف عقائدهم قسمان:

أ- الذين يناصبون المسلمين العداء ويقتلونهم فهم أهل حرب الذين يجب علي المسلمين أن يقاتلوهم ، وهم لا يقسون علي اولئك لغرض دنيوي وانما يعاملونهم كما أمرهم الله تعالي بقوله عزوجل :" يااايها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة..."[۳۸]

فالشدة في معاملة الكفار في هذا الجانب هي صميم الرحمة مثل شدة الوالد في تربية أولاده ، والطبيب في معالجة مريضه الذي قد يصل إلي بتر أعدائه سلامة لبقية جسده، فشدة المؤمنين علي الكفار من هذا القبيل.

ب- القسم الثاني أهل الذمة والمستأمنين:

الذمة كلمة معناها العهد والضمان والأمان ، وإنما سموا بذلك لأن لهم عهد الله وعهد رسوله ، وعهد جماعة المسلمين أن يعيشوا في حماية الإسلام ويجري عليهم ما يجري للمسلمين [۳۹].

والذي منسوب إلي الذمة وهي العهد ومنه (ذمة المسلمين واحدة)[۴۰]

ومن ذلك قول الرسول صلي الله عليه وسلم " من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاماً.[۴۱] قال ابن حجر:" المراد به من له عهد مع المسلمين سواء كان بعقد جزية أو هدنة من سلطان أو أمان من مسلم[۴۲].

ومنه صلي الله عليه وسلم:من آذي ذمياً فأنا خصمه ، ومن كنت خصمه خصمته يوم القيامة"[۴۳].

وقوله صلي الله عليه وسلم : من ظلم معاهدا أو انتقصه حقاً ، أو كلفة فوق طاقته ، أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس منه ، فأنا حجيجه يوم القيامة"[٤٤].

٤- قصة رهط نصاري نجران الذين قدموا إلي النبي صلي الله عليه وسلم ، ليتحدثوا معه في شئون دينية ، فلما حان موعد صلاتهم ، استأذن النبي صلي الله عليه وسلم ليصلوا خارج المسجد النبوي الشريف ، فأبقاهم النبي وأذن لهم بالصلاة في المسجد ، وقد جادلهم بالحسني ، وبرفق وأدب وسماحة خلق ، لكنهم ابوا الإسلام فقبل منهم الجزية و اقرهم علي عقيدتهم[٤٥].

٥- وفد نصاري الحبشة ، فقد استضافهم في المسجد ، وأكرمهم بنفسه ، وقال: انهم كانوا لإخواننا مكرمين فأحب أن أكرمهم بنفسي ،و جادلهم بالحسني ، لكنوا أبوا الإسلام فما عنفهم ، ولا طردهم ، ولا ضيق عليهم[٤٦].

٦- وأخذه صلي الله عليه وسلم علي المسلمين عهداً بألا يتعرضوا لكنائس النصاري بالهدم أو التخريب ، أو يتعرضوا بأي أذي للرهبان والشيوخ والنساء والأطفال في أي بلد ينزلونه فاتحين و مبشرين بالإسلام الحنيف[٤٧].

٧- وكان النبي صلي الله عليه وسلم ينزل الناس منازلهم ، و يتلطف معهم ، رجاء أن يسلموا لرب العالمين ، يتضح ذلك من كتابه إلي هرقل ، والذي جاء فيه:

"بسم الله الرحمن الرحيم ،من محمد بن عبد الله ورسوله إلي هرقل عظيم الروم ، سلام علي من اتبع الهدي ، أما بعد ، فإني أدعوك بدعاية الإسلام ، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، فإن توليت فإن عليك إثم الإريسيين ، ﴿قل يا اهل الكتاب تعالوا إلي كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ...﴾[٤٨]

قال الإمام النووي :لم يقل إلي هرقل فقط ، بل أتي بنوع من الملاطفة ، فقال : "عظيم الروم" أي الذين يعظمونه و يقدمونه ، وقد امر الله تعالي بالإنة القول لمن يدعي إلي الإسلام ، فقال تعالي : أدع إلي سبيل ربك بالحكمة و الموعظة الحسنة ...(النحل :١٢٥) و قال تعالي : فقولا له قولا لينّا وغير ذلك [٤٩].

٨- و عندما ذهب حاطب بن أبي البلتعة رضي الله عنه حاملاً رسالة رسول الله صلي الله عليه وسلم إلي المقوقس ــ عظيم القبط – بمصر . تجلت هذه السماحة و التلطف في القول في عباراته، التي جاء فيها:

" ندعوك إلي دين الله ، وهو الإسلام الكافي به الله ، فقد ما سواه ، ولعمري ما بشارة موسي لعيس إلا كبشارة عيسي بمحمد صلي الله عليه وسلم ، وما دعاءونا

إياك إلي القرآن إلا كدعائك أهل التوراة إلي الإنجيل ، وكل نبي أدرك قوماً فهم من أمته ، فالحق عليهم أن يطيعوه ، وأنت ممن أدركه هذا النبي ، ولسنا ننهاك عن دين المسيح ولكننا نأمرك به[۵۰].

وفي رواية عن حاطب بأنه قال : فقال لي (مقوقس):أنت حكيم جاء من عند حكيم ، هذه هدايا أبعث بها معك إلي محمد [۵۱].

۹- وعن جابر قال : مرت بنا جنازة فقام النبي صلي الله عليه وسلم، وقمنا ، فقلنا يا رسول الله : إنها جنازة يهودي . فقال : أوليست نفساً ؟ اذا رأيتم الجنازة فقوموا[۵۲].

و هكذا في ظل دولة المدينة تمتع غير المسلمين بالحرية العقيدة والإستقلال الديني ، وهو ما ظهر جلياً في وثيقة المدينة التي عقدها الرسول صلي الله عليه وسلم مع أهل الديانات و الأعراق المختلفة في المدينة، فلم يكره أحداً علي الدخول في الإسلام ، و في إطار هذه الوثيقة تعامل الرسول صلي الله عليه وسلم مع جميع الطوائف علي أساس من العدل والمساواة وإحترام الآخر ، فقد حفظ لليهود جميع حقوقهم الدينية والمدنية ، وذلك من خلال بنود المعاهدة التي أبرمها مع القبائل اليهودية في المدينة ، وقد حافظ الرسول صلي الله عليه وسلم والمسلمون علي هذه العهود و المواثيق مع اليهود ، وجرت بينهم معاملات شتي ، حتي رهن الرسول صلي الله عليه وسلم درعه عند اليهودي.

۱۰- من ذلك ما رواه أنس رضي الله عنه : أن النبي صلي الله عليه وسلم رهن درعاً بالمدينة عند يهودي و أخذ منه شعيراً لأهله[۵۳].

وإذا كان النبي صلي الله عليه وسلم عامل يهود بتلك المعاملة مع أن الله وصفهم بأنهم أشدّ الناس عدواة للذين آمنوا وذكر القرآن من شنيع مقالهم علي الله وأنهم استحقوا غضب الله بكفرهم و قتلهم الأنبياء وتلبسهم بصفات عديدة مذمومة و مع ذلك كله كانت خطابه – صلي الله عليه وسلم – لهم غاية في الحسن واللين و اللطف.

الخاتمة وفيها أهم النتائج والتوصيات

۱- قد بعث الله نبيه صلي الله عليه وسلم رحمة للعالمين ، وهو مثال للرحمة سواء مع المسلمين أو مع غيرهم.

۲- كانت شخصية رسول الله صلي الله عليه وسلم شخصية مسالمة مع الصغير و الكبير و الذكر و الأنثي والمسلم والكافر و الجماد والنبات.

۳- كان خيار الحرب بالنسبة للنبي صلي الله عليه وسلم خياراً متأخراً فرضته قوة الممانعة و عداوة المخالف و الحيلولة بالناس و بين سماع كلمة التوحيد.

۴- تكرر لفظ السلام في الكتاب و السنة دلالة واضحة علي رقي دين الإسلام و سماحته.

٥- كانت شخصية النبي صلي الله عليه وسلم مبنية علي المسالمة و السماحة مع جيرانه و أصحابه و أعدائه دون تكلف في ذلك كله.

٦- الشريعة التي جاء بها رسول صلي الله عليه وسلم في سائر أحكامها تحقق مقصد السلام والسلم للفرد في نفسه خاصة و للمجتمع عامة.

٧- تثبت الممارسة الفعلية للرسول صلي الله عليه وسلم بأن الجدل السلمي الذي تغلّفه الرحمة والشفقة هو الطريق الذي لم يجد عنه – عليه السلام- في دعوة غير المسلمين.

٨- ضرورة تقريب هدي النبي صلي الله عليه وسلم في معاملة غير المسلمين فهو أعظم قدوة في ذلك.

٩- بيان رحمة الإسلام في معاملة غير المسلمين عبر الوسائل الحديثة.

١٠- هناك معوقات تقف حجر عثرة في سبيل التحاور السلمي بين الناس أبرزها التعصب ، والجهل ، والإعلام المنحرف الذي يشوّه الحقائق.

أسأل الله أن ينفع و أن يبارك الجهود و أن يعيده لأمتنا الإسلامية عزّها و مجدها و مكانتها.

وصلي الله علي نبينا محمد و علي آله وصحابته ومن تبعهم بإحسان إلي يوم الدين .

الهوامش

[١] : سورة الأنفال : ٦٣

[٢] : الشمراني ، صالح بن علي ،اخلاقيات الحرب في السيرة النبوية ، دار المعارف ، الرياض،١٤٣١هـ،ص :٣٨

[٣] : سورة البقرة : ٢٠٨

[٤] : سورة الأحزاب :٤٤

[٥] : سورة الحشر :

[٦] : سورة الفرقان :٦٣

[٧] : سورة مريم : ٦٤

[٨] : سورة الزخرف : ٨٩

[٩] : الشنقيطي ، محمد أمين ،أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ،دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥م، ص:٤٩٨/٤

[١٠]: سورة النساء : ٩٠

[١١] : سورة الأحزاب : ٢٥

[١٢] : سورة الفتح : ٢٤:

[١٣] : سورة الأنفال : ٦

[١٤] : الشمراني ، صالح بن علي ،اخلاقيات الحرب في السيرة النبوية، مكتبة المعارف ، الرياض، ٢٠١٠م ،ص :٤٣

[١٥] : مخشي بن عمرو الضمري في غزوة الأبواء ، كما في السير ، الروض الأنف ،ص: ٢١/٣

[١٦] : أكيدر بن عبد الملك رجل من كندة ، ودومة الجندل قرب دمشق

[١٧] : القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر،الجامع لأحكام القرآن ،دار الشعب، القاهرة ،تحقيق : أحمد عبد العظيم البردوني، ط ٢ ، ١٣٧٢ هـ ، ص:٤٠/٨

[١٨] : رواه أحمد في مسنده :٩٠/١

[١٩] :متفق عليه ، رواه البخاري ،١٠٨٢/٣ ، حديث : ٢٨٠٤ ، ومسلم في كتاب الجهاد والسير ، حديث :١٧٤٢

[٢٠] :أبو داود، حديث رقم ٤٩٥٠ ، باب في تغيير الأسماء

[٢١] : متفق عليه : رواه البخاري ،٨٠ ، باب قول النبي صلي الله عليه وسلم يسروا ولا تعسروا ...حديث رقم : ٥٧٧٤ ، ورواه مسلم : كتاب الجهاد ،باب في الأمر بالتيسير و ترك التنفير، حديث :١٧٣٤

[٢٢] : أخرجه مسلم ، كتاب الحج ، باب بيان وجوه الإحرام ،١٦٠/٨،صحيح مسلم بشرح النووي.

[٢٣] : شرح صحيح مسلم ،١٦٠/٨

[٢٤] : صحيح البخاري ، كتاب فرض الخمس ، باب ما من النبي علي الأساري من غير أن يخمس ، ص :٧٧٤، حديث :٣١٣٩

[٢٥] : الصنعاني ، سبل السلام ،٥٦،٥٧/٤

[٢٦] : أخرجه مسلم ، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم ، باب من فضائل غفار و أسلم ، ٧٢/١٦ (صحيح مسلم بشرح النووي)

[٢٧] : أخرجه البخاري : كتاب الهبة ، باب الهدية للمشركين :٢٧٥/٥

[٢٨] : ابن هشام السيرة النبوية ، دار التوفيقية ، ١٥١/٢

[٢٩] : مسند الإمام أحمد : ٢٤٧/٣

[٣٠] : شرح النووي علي مسلم ، كتاب الجهاد والسير ، باب الوفاء بالعهد، ص: ١١٥٧ ، حديث رقم :١٧٨٨

[٣١] : البوطي ، د.محمد سعيد رمضان ،فقه السيرة ، دار الفكر ، دمشق ، ط٨ ، ١٩٨٠م ، ص: ٤٢٦،٤٢٧

[٣٢] : الشيخ الخضري ، محمد بك ، نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، المؤسسة العربية للدراسات ،بيروت ،ط١ ،١٩٨٨م،ص:٢٨٦

[٣٣] : صحيح البخاري ، كتاب المغازي،١٢٧/٣، حديث رقم :٤١٥٠

[٣٤] : سورة يوسف :٩٢

[٣٥] : انظر: صحيح مسلم في خبر فتح مكة ، حديث رقم ١٧٨٠

[٣٦] : البخاري ، حديث رقم :٦٠٣٠،٦٠٢٤ ،كتاب الأدب ، باب الرفق في الأمر كله ، ٤٦٣/١٠ ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري

[٣٧] : رواه البخاري في الإستئذان ، ٢٠، باب التسليم في مجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشركين ، حديث :٥٨٩٩

[٣٨] : سورة التوبة :١٢٣

[٣٩] : انظر:القرضاوي ، الدكتور يوسف ، غير المسلمين في المجتمع الإسلامي ،مؤسسة الرسالة ناشرون،٢٠٠١م، ص:٧

[٤٠] : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ٢٧٠/١١

[٤١] : أخرجه البخاري ،كتاب الديات ، باب إثم من قتل ذمياً بغير جرم،ص:٢٧٠/١١

[٤٢] :فتح الباري بشرح صحيح البخاري ،ص:٢٧١/١١

[٤٣] : انظر الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ،عن ابن مسعود،دار الكتب العلمية، تحقيق : مصطفي عبد القادر عطا، ١٩٩٧م،٣٤٣/٩

[٤٤] : البهقي ، السنن الكبري ، ٢٠٥/٩ ، وانظر : أبو داود ، سنن أبوداود ، باب في تعشير أهل الذمة اذا اختلفوا، حديث رقم :٣٠٥٢

[٤٥] : الشيخ الخضري ، محمد بك ، نور اليقين .. ،ص : ٢٨٢ ، و انظر : أبن هشام ، السيرة النبوية ، ١٥٣/٢

[٤٦] : السباعي ، الدكتور مصطفي ، من روائع حضارتنا ، مكتبة الشباب ، عمان ،،ط العاشرة ، ١٩٨٩م ،ص:٦٧

[٤٧] : شرح النووي علي مسلم ،كتاب الجهاد باب تحريم قتل النساء و الصبيان ، ٨/١٢

[٤٨] : صحيح البخاري ،كتاب بدء الوحي ، باب ٦ ، ص:١٠ ،١١، حديث :٧

[٤٩] : شرح النووي علي صحيح مسلم ،١٠٨/١٢

[٥٠] : ابن قيم الجوزية ، فقه السيرة ، جمع و إعداد ، عماد زكي البارودي المكتبة التوفيقية ، بالقاهرة ، ص٤١

[٥١] : ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ، ص: ٣٤/ ٢٨٠

[٥٢] : رواه الإمام البخاري ،كتاب الجنائز

[٥٣] :أخرجه البخاري ،كتاب الصوم ، باب شراء النبي صلي الله عليه وسلم بالنسيئة ، ٣٥٤/٤ ، ومسلم ،كتاب المساقاة ، باب الرهن وجوازه في الحضر، ٣٩/١١